طه حسين

« عقب حفلة تكريم الاستاذ العقاد وتصريح »
« الدكتور طه حسين باعجابه بشعره ثارت »
« ضجة فى بعض الصحف اثارها خصوم العقاد وحملوا »
« على الدكتور طه. وقد كتبت هذا الفصل رداً على »
« احد زعماء هذه الثورة ونشرته بصحيفة الاهرام »

. . كنت قد عزمت منذ عهد قريب على ان اتحدث عن علمين من اعلامنا ، احتلا فى تقديرى المكان الاسمى ، وهما العقاد وطه ولعلى اردت من ذلك ان افى بعض دينى لهما . الم يحسنا الى فى كثير من الاوقات فيعددا ما كان يخالجنى من يأس وأسف على نهضتنا الادبية الحديثة ؟ الم يوفقا فى كثير من الاحيان الى ان يجعلانى انسى نفسى وآلامها حين تلاوتى ما دبجه يراعهما ؟

وفيما انا اقرأ فى الصحف نبأ الانتهاء من ترجمة كتاب «الايام» الى الفرنسية اذ بى اقرأ فى احداها كلمة « لاديب » لم يجرؤ على ذكر اسمه تجنى فيها على الادب واسرف فى التجنى حتى عاب الدكتور طه حسين تتويجه للعقاد اميرا على الشعراء ثم تهكم واسرف فى التهكم

فلقب الدكتور بزعيم الادب العربى واردف ذلك باستغفار الله ؟؟ لم الاستغفار ياصاحبي ؟ اهناك شك فى زعامة الرجل للادب ؟؟ اللهم ان كان ثمت شك فلايكون الا عندك ! ولا تكون عندئذ الا متحاملا أو جاهلا ! فاذا كنت الاول فلا ضير على الادب ورجاله من تحاملك . وان كنت الثانى فاحمد الله فالجهل خير من الغباء . وعلى ان احدثك عن الرجل لتبدل جهلك ... علما .

اتحدث معك اولا عن كتاب « الايام » وأرجو ان تقرأه وتقرأ معه « لامارتين » فى « رفائيله » و « جوتيه » في « آلامه » وانا تول فرانس في « احلامه » ثم قل بربك اهناك فارق بين « كاتبنا » وبين شاعر فرنسا لامارتين فى التصوير ام هناك تفوق من جوتيه عليه في وصف الشعور ثم الا ترى معى انه قد وقف جنبا الى جنب مع اناتول فرانس فى دقة التعبير وقوة الملاحظة وان حظ كتابه من الشيوع والانتشار لا يقل عن حظ كتب هؤلاء ؟ ثم اخبرنى لم ترجم الانجليز ذلك الكتب الي لغتهم اتراهم خاطئين ؟ وان في المكتبة العربيه ما هو جدير بالترجمة واحق بها من « الايام » لم نقل هذا الكتاب للصينية والعبرية والروسية والالمانية واخيرا للفرنسية ألم يترجم لهذه اللغات على اعتبار انه الكتاب المصرى الذى يصلح لان يكون صورة للادب العربى الحديث انى استطيع ان اصرح لك ان (الايام) لقى من العناية عند الامم المختلفة واللهجات المتباينة

مثل ما لقي عندنا ان لم يزد ، وان تألمت لشيء في ناحيتنا الادبية فاني اتألم لان هذا الكتاب لم يفطن اليه اصحاب المسرح والسينما كأنموذج للعصامية الجبارة وآية لتوقد الذهن . يخيل الي ان امم الغرب ستفطن الي هذه (القصة) التي تصور الحياة المصرية أدق تصوير وتمثل الريف المصري اروع تمثيل وتخرجها قبل ان نخرجها نحن وهذا غاية التقصير

لماذا لا يمثل هذا الكتاب في السينما وهو الكتاب الوحيد الذي استطاع ان يعطي فكرة قوية عن القرية المصرية ؛ والكتاب المصري ، والمزارع والمفتش المصريين ، ثم هو فوق ذلك يضرب المثل للشباب في الجد والاجتهاد و يقوي في نفوسهم الامل

الم يقل لهم ان صاحب هذا المجد كان فتي لاينعم بنعمة البصر ولكنه باجتهاده فاق المبصرين ؛ كم اتمنى لهذا الكتاب ان يمثل على المسرح وان يدرس في المدارس وان ينال حظا من العناية لايقل عن حظ امثاله من كتب الغرب التي تساوي معها في جودة الاسلوب وصدق التعبير ، ومتانة التصوير

ندع الايام لنتحدث عن « الصيف » ومترى أن صاحبنا في أيامه هو في « صيفه » الا انه في الاول يصور لك القرية المصرية وفي الثاني يحدثك عن المصايف الاوربية و يحدثك فيه ايضا باسهاب عن الحنان الابوي والحب الزوجي المتبادل و بينما هو غارق في تلك التأملات الجميلة والاوصاف البديعة اذ به يبلغه نبأ نعي « ثروت »

فاذا به يرثيه نثرا يجعلك تنسى الخنساء واخاها بل يرغمك على القول أنه تساوى في الروعة مع صاحب « علو فى الحياة وفى الممات » انظر فى هذا الرثاء للوفاء وكيف يتجسم وفى المصيبة وكيف تنزل بالصاحب في صاحبه فتخرجه عن وعيه فاذا به لا يرثيه وانما يرثى نفسه ويطلب لها العزاء. فاذا ضممت الصيف للايام فكأنك الممت للماما كاملا بالريف المصرى والمصيف الاوربى

ودعني اقف معك قليلا عن الحديث عن الايام والصيف لنتحدث عن « الادب الجاهلى » « وقادة الفكر » واجبنى هل قبل كتابه الاول ارتاح قارىء او باحث لما يراه من التخبط فى الكتابة عن الادب الجاهلى وقل لى هل استطاع قارىء أن يكون لنفسه فكرة متينة عن هذا الادب وانت يطمئن لما يسمع قبل أن يقرأ رأى طه فيه

واقرأ قادة الفكر تعلم كيف درس صاحبنا التاريخ اليونانى وكيف حذق الفلسفة اليونانية ودرسها واخذ يعرض ابطالها على القارىء باسلوب قصصى جذاب ، هذا الكتاب الذى أنار الطريق للقراء وعلمهم كيف انتقلت الفلسفة من سقراط لافلاطون ، ومن هذا لارسطو ، ثم طرق كل واحد منهم فيها وحظه منها ثم هو يرشدهم بعد ذلك كيف انتقلت الفلسفه من رؤوس الفلاسفة الي صدور القادة والفاتحين فاذا بيوليوس يتمم مابدأ به الاسكندر وهكذا حتى لايدع القارىء

الا وهو ملم باحوال هذا العالم القديم واراء فلاسفته ومناهجهم كل هذا فى سفرصغير، و باسلوب سهل يحبه القراء والشباب خاصة فيقبلون عليه ويعلمون ما كانوا يجهلون

وتعالى معى نتحدث عن كتابه «على هامش السيرة» واخبرنى الم يحسن الرجل للعربية باخراجه هذا الكتاب النفيس ؟ استحلفك «بالادب» هل كان معظم شبابنا يعلم شيئا عن السيرة أو يرضي ان يقرأ فيها وهو يسمع انها كتبت فى مطولات لاطاقة له بقراءتها ولكن هذا الشباب ماعسه ان علم ان طه هالته تلك الحالة فكتب عن السيرة فاذا بالشباب يقرأ واذا بالسيرة تحفظ واذا «بصاحبنا» «سعيد» علمنا فيها كيف نشأ «المصطفي» وفى أى الحالات كان العالم وقتئذ وارانا كيف كانت الثورات والالام تجتاح الانسانية ولا يدعك تنتهي من هذا الهامش الا وقد ملك مشاعرك و بين لك ان فى قراءة السيرة الخير كل الخير فاذا أنت تستوعب كتب السيرة وتدرسها . هل من شك فى انه خدم الاسلام والعربية بهذا الكتاب الفريد كما خدم القومية المصرية بكتابه «الايام»

هل من شك في أن الرجل اظهرنا علي الفلسفة اليونانية وطرق تطورها

هل من شك في انه جعلنا نعلم الشيء الكثير عن الادب الجاهلى ورجاله

هل من شك فى انه علمنا كيف نشأ التمثيل اليونانى وكيف كتب شعراء اليونان قصصهم وكيف مثلت فى كتابه « الشعر التمثيلى عند اليونان »

ثم الم تقرأ كتابه « حافظ وشوقى » لتعلم ان الرجل كان الناقد الحر ، والمؤرخ الصادق ، على تضلع فى الكتابة عن الفلسفة والادب والوصف

. . . .

حدثتك عن كتب الدكتور وقد راعينا الايجاز لأن الكتابة عنها باسهاب وتوفيتها حقها وابداء الرأى الكامل عنها يستلزم المجلدات الضخمة . وقد نعود الآن للكلام عن هذه الكتب لا من حيث موضوعها وقيمتها الفنية والفائدة التي عادت على اللغة العربية من كتابتها ، كلا وانما لنذكر تواضع كاتبها وهو يقدم الكتاب الذى يعجز عن وضعه عشرات الادباء ثم يقول فى مقدمته[1] (اقدم اليك هذا السفر ولست اطمع فى ان يبلغ منك مكان الرضا ! ولعلى لا اجاوز الحق ان قلت انى قد اختلست هذا الكتاب اختلاسا) ثم يقول فى مقدمة كتاب اخر ولعله الاول من نوعه في اللغة العربية من حيث الايجاز والفائدة[2] (انني لم اكتب هذا للعلم والعلماء) انى

(١) قادة الفكرة

(٢) على هامش السيرة

تواضع هذا ! يكتب الكتاب الجزيل الفائدة الكثير النفع ثم يقول عنه (ولست اطمع فى ان يبلغ منك مكانة الرضا) وما دمنا في الحديث عن تواضعه فلا يفوتنا ان نذكر كلمته الخالدة (انى لم اقرأ للان شيئاً يرضينى ويرضي الناس) هو يقول انه لم يقرأ بعد الذى شهدناه منه وعرفنا فيه مبلغ تضلعه فى الآداب اليونانية والعربية والاوروبية، بديهى انه قرأ، وقرأ كثيرا ؛ واغلب الظن انه يقول ذلك ليضرب المثل للادباء الذين يتملكهم الغرور فيحرمون على انفسهم الاطلاع وقد يكون قال ذلك ليدلك على قيمه قوله (لاينبغى للاديب ان يرضى ولا ان يطمئن فالرضا علامة الخمود والاطمئنان آية القصور)

وقد تراه فى مواضيع اخرى يتحدث حديث الرجل الواثق من نفسه يقول للانسة مي

(. . تعالى نتعاون يا آنسة علي ان نصلح هذا الفساد ونرتفع بالثقافة الى حيث نستطيع ان نلقى الغربيين فلا نستحى منهم)

وقد يكون طه الكاتب الاول فى مصر الذى يستطيع ان يستدر عبرات القارىء اذا شاء اقرأ مقاله فى الرسالة عن حديث الشهداء لترى كيف يسمو بهم وكيف يحدثك عنهم وما دمنا فى الحديث عن مقالاته فلنتحدث فى اخلاص الرجل لبلده وتمنياته لها وحنقه على الادباء لتقصيرهم وأظن ان أغلب مقالاته قريبة من القصص حتى انى كثيرا ما حدثت نفسى لم لا يكتب طه (القصة) ولكن اليس كل رسالة

من رسالاته تصلح لوشاء « قصة » ؟ وها قد تحقق املنا وكتب قصته الاولي « اديب » وانا زعيم ان طه القاص سيرغم ادباء الغرب على الاعتراف ان فى مصر « قصة » وان الادب العربى تساوي مع ادبهم

ولنتحدث الآن عن طه فى الصحافة لتعلم ان المقالة اليومية التى كثيرا ما عابوا فيها السرعة وقالوا ان الكاتب العربى لا يستطيع اعطاء فكرة قوية عن موضوعه . ان صح ذلك فى كثير من الكتاب فهو لا يلتصق به اقرأ فى الكوكب مقالات « ملك » و « فقيد » و « زائر » و « سجين » فاذا كنت قد قرأت الرسالة و وثقت من ان صاحبنا الكاتب الوصفى والمؤلف القصصى فاقرأ مقالات الكوكب فستخرج من بعضها برثاء يجعلك تجزم ان الرثاء في النثر قد تكون له روعة اعظم من الرثاء فى الشعر اذا كان كاتبه طه حسين فاذا كنت تقرأ « ملك » فانك واجد تأبينا عظيما لملك عظيم ثم تقرأ « فقيد » فتجد رثاءاً مملوءاً بالاخلاص لشخصية هى رمز الاخلاص ثم تقرأ « زائر » فاذا بك امام وصفا للمنية وكيف تداهم دون سابق انذار . تجد الموت يدخل الى « الدار » فيأخذ احد رجالها الافذاذ ولكن المصيبة وعظمها ، والمفجأة و وقعها ؛ لم تحل بين الكاتب والكتابة فهو يكتب ليؤدى رسالته وهو يكتب ليؤدى واجبه رغم تفطر قلبه ثم اقرأ « سجين » لتعلم كيف تحفظ حقوق الزمالة وكيف

على الاخلاص لهم فيسطر هذه « الدرر » القيمة

ولنتحدث الآن عن (طه)في(الوادى) فأذا كنت قداخذت فكرة عن كتبه وتسمقه فى البحث ليحقق للقارىء الفائدةواذا كنت قد اخذت فكرة عنه فى الرسالة بخصوص الوصف والقصة واذا كنت قد المت بمقالاته فى الكوكب فدونك الوادى وتصفح فيه آيات النقد الصحيح الصريح الذى دل على تقدمنا فى الاخذ باساليب النقد النافعة ؟ وكم كنت اود لو تاحت لي الفرصه فخضرت دروسه لاحدثك عن طه العميد والاستاذ ولكنى اترك هذا الباب لطلبة الجامعة فهم اولى منى بالكتابة فيه

وأملي ان يكون سيدى المستغفر قد سلم معى بزعامة الدكتور طه حسين الادبية كما ارجو ان اكون وفقت فى دراسة العقاد حتى يعلم ان الاستاذ العميد كان على حق في تتويجه للعقاد واعجابه به ..